آراء العلماء في تحديد أوجه الإعجاز

بحث في

المحور الأول (مدخل إلى إعجاز القرآن)

إعداد

د /عبد الله بن مقبل القرني
الأستاذ المساعد بجامعة أم القرى
والباحث المتعاون بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي
مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنار القلوب بنور الإيمان، وهدى البصائر والأفئدة بهدى الفرقان، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وحجة على الخلق أجمعين، بكتاب عربي مبين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد :

فهذا بحث بعنوان " آراء العلماء في تحديد أوجه الإعجاز" يندرج في الموضوع الرابع من المحور الأول من محاور مؤتمر إعجاز القرآن الكريم بكلية الشريعة بجامعة الزرقاء الأهلية " وقد اخترت المشاركة فيه لأسباب منها :

1) امتثال أمر الله بتدبر القرآن في آيات منها قوله تعالى:(لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)(1)بالنظر في أوجه إعجازه إذ هو داخل في تدبر كتاب الله وتدارسه والله أعلم.

2) مشاركة أهل العلم والفضل في إجابة الدعوة الكريمة الموجهة من الأخوة الأفاضل القائمين على المؤتمر .

3) الوقوف على أقوال أهل العلم في أوجه الإعجاز،وتتمة ما بدأه الزركشي والسيوطي من ذكر لأوجه الإعجاز.

4) الدفاع عن القرآن الكريم والوقوف أمام الطعون والحملات الموجهة إليه ، وآخرها ما قام به الأعداء من تدنيس للمصحف الشريف.

5) تحقيق وعد الله بحفظ كتابه في قوله (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)(2).

6) الإسهام في الدعوة لتدبر القرآن عن طريق الوقوف على أوجه إعجازه خاصة ما يناسب هذا العصر .

---

(1) سورة صّ: الآية29.

(2) سورة الحجر: الآية:9.

نشأة الإعجاز

ظهر شأن إعجاز القرآن مع بداية تنزل القرآن حين أنزل الله القرآن الكريم بلسان عربي مبين لإنذار أمة عربية تفخر بلغتها وتتباهى ببلاغتها ، أمة تعد من ينظم أجود الشعر ، أويرتجل بليغ الكلام أفضل القوم وأشرفهم ، حتى أقامت للشعر أسواقاً وللخطابة مجامع ، فكان إنزاله بلسانهم ولغتهم على رجل منهم مع تحديهم به ، وثبوت عجزهم عن معارضته دليلاً على صدق نبوته ، وحجة رسالته، حيث وقف البلغاء منهم أمام هذا الكتاب مشدوهين شاهدين بأنه تنزيل من رب العالمين ، ومنع الحسد والعناد قوماً آخرين ، فمنهم القائل : (تقوله) وآخر يقول:(إنما يعلمه بشر)كما حكى الله عنهم في كتابه ، فأجابهم الله بقوله :(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً)(3)لأنه لو كان من عند غير الله لاختل نظمه وتناقضت معانيه ، وأبان بعضه عن فساد بعض. وفي هذه الآية دعوة للناس كافة أن يتدبروا القرآن، وأنهم إن تدبروا آياته وقفوا على مظاهر إعجازه، وانبهروا ببلاغته، وفصاحته لأنه تنزيل من حكيم حميد .

وأقر ببلاغته وجودة ألفاظه ومعانيه فصحاؤهم كالوليد بن المغيرة ، والنضر بن الحارث ، وعتبة بن ربيعة وشهدوا له وهم فصحاء العربية بحسن الترابط والانسجام وعلوه على غيره من الكلام ، ففي الدر المنثور (4) من طرق عن الزهري قال : حُدثت أن أبا جهل، وأبا سفيان والأخنس بن شريق، خرجوا ليلة يستمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالليل في بيته فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعتهم الطريق، فتلاوموا فقال بعضهم لبعض : لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض: مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل واحد منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها، قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فقال: ما رأيك فيما سمعت

---

(3) سورة النساء: الآية82 .

(4)الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (9/372-373).

من محمد قال: ماذا سمعت؟! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف في الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه ؟! والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدقه، فقام عنه الأخنس وتركه(5)وهذا يشير إلى وجهين من أوجه الإعجاز وهما،الإعجاز البلاغي ، والإعجاز التأثيري.

ثم جاء التحدي لهم وهم أرباب الفصاحة والبيان أن يأتوا بمثل القرآن في قوله تعالى (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)(6) ثم بقوله : ( )فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) (7) ثم تحداهم بعشر سور في قوله (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)(8) ثم بسورة واحدة في قوله (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)(9) فحاول بعضهم معارضته وعكفوا على لباب البر ولحوم الضأن وسلاف الخمر أربعين يوما لتصفو أذهانهم فلما أخذوا فيما قصدوه وسمعوا قول الله تعالى (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)قال بعضهم لبعض هذا الكلام لا يشبه كلام المخلوقين فتركوا ما أخذوا فيه وتفرقوا(10)

ولما قرأ عمر بن الخطاب صدر سورة(طه) قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه؟(11) وبهذا يتضح أن فصحاء العرب أدركوا إعجاز القرآن في ترابطه وتأثيره في النفوس والقلوب ؛ وإن قالوا فيه أقوالاً دفعهم إليها العناد والاستهزاء إذ قالوا : (أساطير الأولين) وقالوا : (إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ)(12) قالوا هذا بألسنتهم مع اعترافهم بأثره في قلوبهم كما روى الحاكم بسنده عن

---

(5)دلائل النبوة للبيهقي (198/2).

(6) سورة الإسراء:الآية88.

(7) سورة الطور: الآية 34.

(8) سورة هود:الآية13.

(9) سورة :البقرة: الآية 23.

(10) روح المعاني للألوسي ج6/ص63.والآية (44 من سورة هود).وينظر للقصة العمدة لابن رشيق 211/1تحقيق محي الدين عبد الحميد طبع دار الجيل بيروت.

(11)السيرة النبوية ج2/ص189.

(12) سورة :المدثر: الآية 24.

ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال : ياعم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً . قال : لم ؟ قال : ليعطوكه . فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله ، قال : قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً ، قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له ، قال : وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز، ولا قصيدة مني ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى ، وإنه ليحطم ما تحته قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر ــ يأثره عن غيره ــ فنزلت (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً) (13).

وقول الوليد : "إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى ، وإنه ليحطم ما تحته . قول حق نطق به الوليد مع علمه الواسع بلغة العرب نثراً وشعراً وصف فيه القرآن بهذه الأوصاف الخالدة الصادقة، ثم ينفي أن يكون القرآن الذي تلاه محمد شيئاً من الشعر ونحوه بل إنه وهو على كفره أحس بسلاسة القرآن وجماله وتناسقه وترابطه ومنزلته الرفيعة في الكلام فهو يعلو كل شيء ولا يعلوه شيء . وفيما قال شهادة للقرآن ببلاغته وبعده عن كل ما يعاب به الكلام من تفكك وعدم ترابط ، وهذه الشهادة من الرجل الخبير تدل على أن العرب نظروا إلى القرآن فرأوه عجيب النظم بديع الأسلوب لا مغمز فيه ولا مطعن .

وبوب البيهقي(14) في كتابه دلائل النبوة باباً بعنوان "باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز" أورد فيه القصة السابقة ،و أتبعه بكلام النضر بن الحارث حين قال : "يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما ابتليتم بمثله لقد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغية الشيب، وجاءكم بما جاءكم قلتم : ساحر! لا والله ما هو بساحر ، قد رأينا السحرة ، ونفثهم وعقدهم ، وقلتم:

---

(13)المستدرك على الصحيحين للحاكم 2 : 506 ـــ 507 وقال الحاكم حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ، وأورده ابن كثير بمعناه في تفسيره 4 : 442 ـــ 443 من طريق العوفي عن ابن عباس وهو في دلائل النبوة للبيهقي 2 : 198 . الإتقان في علوم القرآن ج2/ص313 والآية من سورة المدثر:11.

(14)دلائل النبوة (198/2. وقوله في صدغيه الشيب مبالغة يقصد بها كمال رجولته ، وكان الشيب في لحينه ρ يعدها العاد.

كاهن! لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة، وحالهم وسمعنا سجعهم ، وقلتم : شاعر! لا والله ما هو بشاعر : لقد رأينا الشعر ، وسمعنا أصنافه كلها هزجه، ورجزه، وقريضه، وقلتم مجنون ؟! ولا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه، ولا وسوسته، ولا تخليطه . يامعشر قريش: انظروا في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم" وهو ينفي عن النبي ρ التهم والأوصاف المذكورة.

وأورد القاضي عياض هذه الحوادث في كتابه " الشفا بتعريف بحقوق المصطفى " وذكر أن السبب في ذلك هو ما رأوه في القرآن الكريم من حسن تأليفه، والتئام كلمه، وفصاحته إضافة إلى نظمه العجيب ، وأسلوبه الغريب المخالف لأساليب كلامهم ، ومناهج نظمهم ونثرهم ، مع أنهم أرباب الفصاحة وفرسان الكلام (15).

ما سبق كان هذا استعراضاً لحال من أعرض عن القرآن ولم يتبعه، وكيف أنزلوا القرآن مكانه اللائق به من حسن البلاغة والبيان، وجودة النظم وترابط المعاني ،وأنهم علموا أن البشر عاجزون عن الإتيان بمثله .

أما المهتدون فإنهم آمنوا به وتعلموه وعملوا به وعلموه ، وهم أهل الفصاحة وأرباب البلاغة فكانوا به مصدقين، وإليه داعين، ولم يكونوا في حاجة لذكر نواحي إعجازه .

محاولة الطعن في القرآن

بدأ الطعن في القرآن على أيدي حسدة الناس الذين لم يهتدوا بهدى القرآن من اليهود والنصارى والمجوس الذين لجأوا إلى الحرب الخفية بالتقول على القرآن ومحاولة شغل الناس عنه منذ تنزل القرآن كما في الأثر الذي أخرجه ابن جرير والسيوطي عن ابن عباس قال : "أتى النبي صلى الله عليه وسلم ابن مشكم في عامة من يهود سماهم ، فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وإن هذا الذي جئتنا به لا نراه متناسقاً كما تناسق التوراة فأنزل علينا كتاباً نعرفه وإلا جئناك بمثل ما تأتي به فأنزل الله (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) (16). فاتضح أن اليهود أول من طعن في تناسق القرآن وتبين كيف رد الله عليهم ولذلك أورد عليهم رسول الله الدلالة من آي القرآن على أن الإنس والجن يعجزون عن الإتيان بمثله ، وبهذا يتبين أنهم يعلمون صدقة ولكنهم قوم يجحدون ،

---

(15) الشفا بتعريف حقوق المسطفى / فصل إعجاز القرآن / 258 / 267 .

(16) (الإسراء:88) وينظر تفسير ابن جرير / 15 : 158 ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي / 140 وتقدم ص 32 .

فدحروا لذلك وانقلبوا صاغرين. وبهذا قامت الحجة على العرب وغيرهم كما قال تعالى:(فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ)(17).

وأسهم في الدفاع عنه التابعون الذين أخذوا التفسير عن صحابة رسول الله نقلاً عنه صلى الله عليه وسلم ، وعلموه الناس، ولم يظهر في زمنهم مصطلح الإعجاز ، ولم يكونوا بحاجة لذلك قال الزركشي :"فإن قلت كيف عددت هذا من أنواع علومه مع أن سلف المفسرين من الصحابة والتابعين لم يخوضوا فيه ولم ينقل عنهم شيء من ذلك وإنما هذا أحدثه المتأخرون(18) قلت: إنما سكت الأولون عنه لأن القصد من إنزال القرآن تعليم الحلال والحرام، وتعريف شرائع الإسلام وقواعد الإيمان، ولم يقصد منه تعليم طرق الفصاحة وإنما جاءت لتكون معجزة، وما قصد به الإعجاز لا سبيل إلى معرفة طريقه فلم يكن الخوض فيه مسوغاً لأن البلاغة ليست مقصودة فيه أصلاً وهذا موجود فى الصحف الأولى لامع هذه البلاغة المعينة،وإنما كان بليغا بحسب كمال المتكلم فلهذا لم يتكلم السلف فى ذلك وكان معرفتهم بأساليب البلاغة مما لا يحتاج فيه إلى بيان بخلاف استنباط الأحكام فلهذا تكلموا فى الثانى دون الأول(19).

وقام علماء التفسير بتدوين ما بلغهم من تفسير ،واتجه للتأليف فيما يتعلق بالعربية والقراءات طائفة من العلماء حراسة للقرآن الكريم، وتدبراً للأسلوب القرآني من حيث اللفظ والمعنى. مثل كتاب " مجاز القرآن " لأبي عبيده معمر بن المثنى (ت 210هـ)وكتاب "معاني القرآن "لأبي زكريا يحي بن زياد الفراء (ت207) و"معاني القرآن "للأخفش أبو الحسن سعيد بن مسعدة البصري (ت 215هـ)(20) .

الهجوم على نظم القرآن :

وهجم إبراهيم بن سيار النظام (ت 231 هـ) على نظم القرآن وقال بالصرفة .وكان غالياً في تقرير مذهب الفلاسفة واشتهر عنه التأثر بالبراهمة والقول بقولهم في إبطال النبوات. وقد نسب ذلك إليه عبد القاهر السفاريني البغدادي ثم قال : "فأنكر إعجاز القرآن في نظمه وأنكر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الحسية " وقال : " إن نظم القرآن، وحسن تأليف كلماته ليس بمعجزة للنبي عليه الصلاة والسلام ولا دلالة على صدقه في دعواه النبوة، وإن

---

(17) سورة :الأنعام: الآية 33.

(18)البرهان في علوم القرآن ج1/ص311.

(19)البرهان في علوم القرآن ج1/ص31 1

(20)ينظر مقدمة الصحاح للجوهري بقلم العطار 1 : 43 ومجاز القرآن لأبي عبيدة و معاني القرآن للفراء وللأخفش.

وجه الدلالة منه على صدقه ما فيه من الإخبار عن الغيوب فأما نظم القرآن، وحسن تأليف آياته فإن العباد قادرون على مثله، وعلى ما هو أحسن منه في النظم، والتأليف. و هذا عناد منه لأن أحداً لم يستطع ذلك ولقوله تعالى(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرا) (21). قال : " ولم يكن غرض منكر إعجاز القرآن إلا إنكار نبوة من تحدي العرب بأن يعارضوه بمثله" (22) وتوالى من الزنادقة في ذلك العصر الطعن في القرآن وأسلوبه.

الدفاع عن كتاب الله : ولما كثر الطعن في القرآن وأوشكت الشبهات أن تأخذ سبيلها إلى قلوب الناس قيض الله علماء أجلاء نافحوا عن كتاب الله وعلى رأسهم الإمام الشافعي (ت **204**هـ) رحمه الله حيث قال : " وإنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرقها ، ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها " والإمام أحمد بن حنبل (ت **241**هـ) حين وصف أهل العلم بما هم أهله، وبين أنهم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين(23).

ووقف للدفاع عن القرآن عدد من الكتاب والشعراء وأهل البيان الذين رأوا جزالة ألفاظه، وبديع نظمه، وحسن سياقه، وحسن مباديه، ومقاطعه وكيف ينتقل الحديث من قضية لأخرى في ارتباط، وعدم تنافر، مع تلون في الخطاب، وإيجاز وإطناب، فأخذوا يدافعون عن أسلوب القرآن وبيانه وفصاحته .

ومن أشهر أولئك أبو عمرو بن بحر الجاحظ (ت **255**هـ) (24)الذي ألف في البديع وابن المعتز (ت **296**هـ) أول من ألف في فن البديع ، وكذا قطرب (ت **205**هـ) الذي

---

(21) سورة الإسراء الآية:**88**)

(22) ينظر الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي **18-19**.

(23) الرد على الجهمية **138**.

(24) هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري المعتزلي إخباري علامة صاحب فنون وأدب باهر وذكاء بين . سير أعلام البنلاء **11** : **256** ــ **530**.

ألف كتاباً فيما سأل عنه الملحدون(25). وذكر أنه احتج للقرآن في كتابه نظم القرآن ولم يدع فيه مسألة لأصحاب النظام ولا لمن نجم بعده(26). وأن إعجازه : نظمه البديع وتأليفه العجيب وأن النبي تحداهم بالنظم والتأليف وذكر أن عجز قريش عن معارضة القرآن وعدم ردهم مع بلاغتهم وشدة عدواهم يكفي رداً على خطبائهم وبلغائهم(27).

ابن قتيبة و إعجاز القرآن :

وممن اهتم ببيان إعجاز القرآن وأسهم في الرد على الطاعنين فيه من علماء القرن الثالث الهجري الإمام أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت2٧6هـ)حيث تصدي للطاعنين في القرآن وأسلوبه والمعترضين عليه وألف في ذلك كتابه تأويل مشكل القرآن حيث قال في مقدمته : " الحمد لله الذي نهج لنا سبل الرشاد وهدانا بنور الكتاب، .... وقطع منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين ، وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين، وجعله متلواً لا يمل على طول التلاوة، ومسموعاً لا تمجه الآذان، وغضاً لا يخلق على كثرة الرد، وعجيباً لا تنقضي عجائبه، ومفيداً لا تنقطع فوائده، ونسخ به سالف الكتب، وجمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه"(28).ثم كر على أولئك الطاعنين مبيناً وموضحاً حالهم وتأثيرهم على الناس قائلاً : (وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بأفهام كليلة،وأبصار عليلة ونظر مدخول،فحرفوا الكلام عن مواضعه،وعدلوه عن سبله، ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة وفساد النظم والاختلاف(29) وفي هذا تصوير لحال الطاعنين مع بيان أنهم يتبعون المتشابه من آي الكتاب الحكيم .

الإعجاز في القرن الرابع الهجري :

---

(25) الفهرست لابن النديم 57.

(26) رسالة في القرآن 278/4ضمن رسائل الجاحظ.

(27) رسائل الجاحظ 229/3.

(28) مقدمة تأويل مشكل القرآن (3) .

(29) تاويل مشكل القرآن لإبن قتيبة 22.

ثم دخل القرن الرابع الهجري فتتالت فيه المؤلفات للدفاع عن أسلوب القرآن فألف في نظم القرآن محمد بن يزيد الواسطي (ت307هـ) " كتابه نظم القرآن ويعرف بإعجاز القرآن في نظمه وتأليفه " ايضاً ، وتبعه بالتأليف في النظم آخرون(30).

وفي أوائل هذا القرن كتب ابن جرير الطبري (ت310هـ) تفسيره المسمى "جامع البيان عن تأويل آي القرآن وفيه تفسير النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين ، ويشتمل على أقوال المفسرين حتى عصره .

وشارك الرماني (ت 386هـ)في ذكر أوجه الإعجاز في رسالته " النكت في إعجاز القرآن، لما سئل فقال : "سألت وفقك الله عن ذكر النكت في إعجاز القرآن دون التطويل بالحجاج ؟ ثم أجاب بقوله وجوه الإعجاز تظهر من سبع جهات : 1) ترك المعارضة مع توفر الدواعي،وشدة الحاجة 2) التحدي للكافة . 3)الصرفة 4) البلاغة 5) الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة 6)نقض العادة 7) قياسه بكل معجزة .ثم شرح هذه الأوجه وذكر أن القرآن في المرتبة العليا(31).

الخطابي و بيان إعجاز القرآن :

يعتبر أبو سليمان حمد بن إبراهيم الخطابي (ت 388هـ) من أبرز من تناول إعجاز القرآن في رسالته "بيان إعجاز القرآن " حيث بدأها بالإشارة إلى ما سبقه من أقوال فقال :" قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديماً وحديثاً، وذهبوا فيه كل مذهب من القول ، وما وجدناهم بعد صدروا عن ري، وذلك لتعذر معرفة وجه الإعجاز في القرآن ، ومعرفة الأمر في الوقوف على كيفيته " (32) ثم أشار إلى ما قيل في شأن وجه إعجاز القرآن من أقوال مناقشاً لها ومنها :

1/ أن العلة في إعجازه الصرفة.

2/ ما تضمنه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان.

---

(30) ينظر الفهرست لابن النديم 57 ،،.

(31) النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز (ص 75).

(32) ينظر بيان إعجاز القرآن للخطابي(21) ضمن ثلاث رسائل .

3/صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس،ومثل له بقصة عتبة بن ربيعة، وإسلام عمر رضي الله عنه(33).

4/ رأي الأكثرين من علماء أهل النظر وهو أن إعجازه من جهة البلاغة .

قال: وفي كيفيتها بعض الإشكال فعده بعض منهم ضرباً من المعرفة لا يمكن تحديده وأخرون ما يحصل من العذوبة في حس السامع والهشاشة في نفسه . وبيّن أن القرآن نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة ، فكان اجتماع الأمرين في نظمه ، مع نبو كل واحد منهما على الآخر فضيلة خص بها القرآن ، ليكون آية بينة لنبيه ودلالة على صحة ما دعا إليه من أمر دينه(34) . ثم وضح رأيه فقال : إنما يقوم الكلام على أشياء ثلاثة :

1- لفظ حامل . 2- معنى به قائم . 3- رباط لهما ناظم .

ثم قرر أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني . قال : "وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ، أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظماً : أحسن تأليفاً وأشد تشاكلاً من نظمه" (35) .

وأكد أبو هلال العسكري (ت 395هـ) براعة القرآن وترابطه و أن أعظم مدار البلاغة على تحسين اللفظ لأن المعاني إذا دخل بعضها في بعض هذا الدخول وكانت الألفاظ مختارة حسن الكلام (36).

---

(33) ينظر بيان إعجاز القرآن للخطابي(ص70) .

(34) ينظر بيان إعجاز القرآن للخطابي 21-23 بتصريف واختصار.

(35) ينظر المصدر السابق 23-26.

(36) ينظر الصناعتين الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري (ت 201هـ)

الباقلاني و إعجاز القرآن :

أتم الإمام أبو بكر بن الطيب الباقلاني (ت 403 هـ)المسيرة التي بدأها علماء القرن الرابع الهجري لبيان إعجاز القرآن بكتابه "إعجاز القرآن" حيث بين فيه أن نبوة نبينا محمداً عليه السلام بنيت على القرآن، وأنها معجزة عمت الثقلين، وأن السور المبدوءة بالحروف المقطعة إذا تأملتها فهي من أولها إلى آخرها مبنية على لزوم حجة القرآن والتنبيه على وجه معجزته (37). ثم عقد فصلاً في جملة وجوه إعجاز القرآن قال فيه :"ذكر أصحابنا وغيرهم فيه ثلاثة وجوه :

أحدها : أنه يتضمن الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه.

والوجه الثاني :أنه كان معلوماً من حال النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان أمياً لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ. وكذلك كان معروفاً من حاله أنه لم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم، ثم أتى بجملة ما وقع وحدث من عظيمات الأمور، ومهمات السير، من حين خلق الله آدم عليه السلام إلى حين مبعثه.

والوجه الثالث: أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه، والذي أطلقه العلماء هو على هذه الجملة، وبيّن أن هذا الوجه يتضمن عشرة أوجه(38) .

ثم أثنى على هذا النوع من العلم فقال : " واعلم أن هذا علم شريف المحل، عظيم المكان قليل الطلاب، ضعيف الأصحاب، ليست له عشيرة تحميه، ولا أهل عصمة تفطن لما فيه وهو أدق من السحر، وأهول من البحر، وأعجب من الشعر"(39).

ثم أشار إلى ما قاله القادحون في نظم القرآن بقوله :" فإن قال قائل : فقد قدح الملحد في نظم القرآن، وادعي عليه الخلل في البيان، وأضاف إليه الخطأ في المعنى واللفظ، وزعم وقال

---

(37) ينظر إعجاز القرآن للباقلاني 8-9 .

(38) ينظر إعجاز القرآن للباقلاني 33-35 .

(39) ينظر المصدر نفسه(184).

ماقال فهل من فصل ؟ قيل : الكلام على مطاعن الملحدة في القرآن مما قد سبقنا إليه وصنف أهل الأدب في بعضه فكفوا ، وأتى المتكلمون على ما وقع إليهم فشفوا ولولا ذلك لا ستقصينا القول في كتابنا(40).

وممن تناول الإعجاز القاضي عبد الجبار الهمداني (ت 415هـ) الذي تعرض للكلام في إعجاز القرآن في عدد من كتبه (41) ورد الطعون الموجهة للقرآن مما أورده ابن الراوندي في كتابه (الدامغ) وزعمه أن فيه تناقضاً واختلافاً(42).

ومن المفسرين الثعلبي(ت427هـ) حيث قال في تفسيره المسمى الكشف والبيان: "والإعجاز أن يأتي بالشيء يعجز عنه خصمه ويقصر دونه فيكون قد قهره وجعله عاجزا عنه(43) وعند قوله(أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) نقل عن الحسين بن الفضل قوله "هو القرآن في نظمه وإعجازه والمعاني الكثيرة منه في اللفظ القليل" (44).

عبد القاهر الجرجاني ونظرية النظم :

يعد عبد القاهر بن عبدالرحمن الجرجاني (ت 471هـ) أبرز من تناول قضية الإعجاز من علماء القرن الخامس الهجري في "الرسالة الشافية" المطبوعة ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، وفي كتابه "دلائل الإعجاز" الذي حرص فيه على إثبات أن القرآن معجز بنظمه وبنى ذلك على أن بلاغة الكلام تكون بنظمه . وبدأ كتابه بالحديث عن معنى النظم، ثم فصل نظريته في النظم وتحدث عن فنون البلاغة التي لها تعلق بارتباط الجمل والعبارات، كالوصل والفصل، وارتباط

---

(40) ينظر) إعجاز القرآن للباقلاني (245 – 246) .

(41) ينظر تنزيه القرآن عن المطاعن إملاء عماد الدين عبدالجبار بن أحمد ص 17 ط دار النهضة الحديثة لبنان .

(42) ينظر المغني في أبواب التوحيد والعدل 346/16 إملاء القاضي عبدالجبار.

(43) الكشف والبيان للثعلبي ص 772.

(44) الكشف والبيان 1027.

الكلام بالحروف والأدوات، ثم بين شدة اهتمامه بالبحث في هذا بقوله : " ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء : في معنى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة"(45)وذكر أن من تحدوا إلى معارضته عجزوا. ثم قال مبيناً الوجه المعجز: "أعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مبادي آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها وفي مضرب كل مثل ومساق كل خبر وصورة كل عظه وتنبيه، وإعلام وتذكير وترغيب وترهيب، ومع كل حجة وبرهان، وصفة وتبيان "ثم قال : "وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشراً عشراً ، وآية آية فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها ولفظه ينكر شانها أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أحرى وأخلق بل وجدوا اتساقاً بهر العقول وأعجز الجمهور ونظاماً والتئاماً وإتقاناً وإحكاماً لم يدع في نفس بليغ منهم موضع طمع حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول" (46).

القرن السادس واهتمام المفسرين بالإعجاز :

ثم دخل القرن السادس وكان فيه علماء أجلاء أسهموا في تبيين أسرار القرآن وأوجه الإعجاز وممن لهم أثر في ذلك: الزمخشري المفسر (ت 538هـ) ويعد من أبرز من تناول قضية الإعجاز فقد بدأ كتابه بقوله : (الحمد الله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً(47).ثم ذكر كلام الجاحظ في أن المفسر لا بد وأن يكون قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان . وذكر من أوصافه أن يكون قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف، وكيف ينظم ويرصف، ووعد بأن يؤسس كلامه على علمي المعاني والبيان(48)،وعند

---

(45) ينظر (28–29) من دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني بعناية محمد رشيد رضا ، ط دار لبنان 1402هـ .

(46) ينظر المصدر نفسه 32 .

(47) ينظر مقدمة الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري .

(48) ينظر المصدر نفسه 3/1.

قوله تعالى (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) قال: يعني أنه كتاب معجز من جهتين من جهة إعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب (49).

وأوضح الإمام عبد الحق بن غالب المعروف بابن عطية (ت 542هـ)مكانة الإعجاز حيث أورد نبذة مما قال العلماء في إعجاز القرآن فقال: "اختلف الناس في إعجاز القرآن بم هو؟ فقال قوم: إن التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات، وإن العرب كلفت في ذلك ما لا يطاق وفيه وقع عجزها ،وقال قوم إن التحدي وقع بما في كتاب الله تعالى من الأنباء الصادقة والغيوب المسرودة، وهذان القولان إنما يرى العجز فيهما من قد تقررت الشريعة ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم في نفسه .ووجه إعجازه: أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما وأحاط بالكلام كله علماً " (50).

وتعرض الإمام أبو بكر محمد بن عبدالله (ت 543هـ) ابن العربي للحديث عن الإعجاز في كتابه (أحكام القرآن) فعند قوله تعالى (حتى يسمع كلام الله) قال :"ولم يكن يخفى على العرب وجه الإعجاز فيه وطريق الدلالة على النبوة لكونه خارجا عن أساليب فصاحة العرب في النظم والنثر والخطب والأراجيز والسجع والأمثال وأنواع فصل الخطاب"(51).

وعقد القاضي عياض(ت 544هـ) في كتابه الشفا فصلاً ضافياً في إعجاز القرآن بين فيه وجوه إعجازه بقوله :" اعلم وفقنا الله وإياك أن كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه :

---

(49) ينظر المصدر نفسه ج2/ص330.

(50) ينظر المحرر الوجيز عطية 1/ 59-60.

(51) ينظر أحكام القرآن لابن العربي ج2/ص459 .

أولها : حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب(52).

الوجه الثاني من إعجازه : صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته إليه ، ولم يوجد قبله ولابعده نظير له ولااستطاع أحد مماثلة شيء منه(53).

الوجه الثالث من الإعجاز: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات كقوله (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ)(الفتح :**26**).

الوجه الرابع : ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة(54).

ثم قال : هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية.

ومن الوجوه البينة آي وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك (55).

ومنها: الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته(56) وهو ما يسمى بالإعجاز التأثيري .

ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (57).ثم قال القاضي عياض: وقد عدّ جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوهاً كثيرة، منها أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه

---

(52) ينظر الشفا للقاضي عياض **258/1**.

(53) ينظر الشفا للقاضي عياض **264/1**.

(54) ينظر المصدر نفسه **269/1-270**.

(55) ينظر المصدر نفسه **272/1**.

(56) المصدر نفسه **273/1**.

(57) المصدر نفسه **275/1** والآية من سورة الحجر: **9**) .

بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضاً طريا(58) .ومنها جمعه لمعارف وعلوم لم تعهدها العرب عامة ، ولا محمد صلى الله عليه قبل نبوته خاصة(59).

ومنها: مشاكلة بعض أجزائه بعضاً وحسن ائتلاف أنواعها والتئام أقسامها وحسن التخلص من قصة إلى أخرى والخروج من باب إلى غيره إلى اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة إلى أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وإثبات نبوة وتوحيد وتفريد وترغيب وترهيب إلى غير ذلك من فوائده ..... كل هذا في أوجز كلام وأحسن نظام .

ومنه: الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القلية وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر في إعجاز القرآن إلى وجوه كثيرة ذكرها الأئمة مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا في إعجازه وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي والله ولي التوفيق(60). وبهذا يفرق القاضي عياض بين مايمكن اعتباره وجه إعجاز وبين ما يدخل في خواص القرآن .

القرن السابع واهتمام الرازي بقضية الإعجاز:

يعتبر فخرالدين الرازي(ت 606هـ) من أشهر من تناول الإعجاز في أواخر القرن السادس وأوائل السابع الهجري فقد أولى قضية الإعجاز الكثير من العناية والرعاية في كتابه التفسير الكبير " مفاتيح الغيب" ، وخصه بكتاب "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز " الذي بدأه ببيان أن القرآن معجز وإعجازه في فصاحته ثم قال : وأما وجه كونه معجزاً فللناس فيه أربعة مذاهب :

1/ قول النظام ورده الرازي من ثلاثة وجوه .

2/أسلوب القرآن المخالف لأسلوب الشعر والخطب والرسائل .

---

(58) المصدر نفسه 276/1.

(59) ينظر الشفا للقاضي عياض 277/1.

(60) ينظر الشفا للقاضي عياض 279/1- 280..

3/عدم الاختلاف والتناقض.

4/اشتماله على الغيوب ،

واختار أن الوجه في كون القرآن معجزاً هو الفصاحة. (61).

القرن الثامن والمهتمون بقضية الإعجاز

اهتم جمع من العلماء في هذا القرن بقضية الإعجاز ومن أشهرهم الخطيب القزويني، ويحي بن حمزة العلوي و عبد الواحد الزملكاني (ت 727هـ) في كتابه "البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن " حيث بدأ بالرد على القائلين بالصرفة ، ثم حكى أن وجه الإعجاز القرآن :

1/ إما أن يكون من جهة ذوات الكلم **2**/ أو عوارضه من الحركات **3**/ أو مدلوله

4/ أو المجموع **5**/ أو التأليف **6**/ أو أمر خارج عن ذلك .

واختار أن وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف وهو بأن اعتدلت مفرداته تركيبا وزنة وعلت مركباته معنى بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى(62).

وألف يحي بن حمزة العلوي : (**749**هـ) كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز عقد فيه فصلاً مطولاً في الجزء الثالث منه للإعجاز وبين علاقته بالبلاغة وعلم الكلام وأخبر أن الذي يدل على إعجاز القرآن مسلكان :الأول: التحدي والمسلك الثاني: خروجه عن المعتاد ثم عقد فصلاً في بيان وجه الإعجاز قال فيه: اعلم أن الكلام في الوجه الذي لأجله كان القرآن معجزاً دقيقاً، ومن ثم كثرت فيه الأقاويل . واستعرض أقوال السابقين إعجاز القرآن بألفاظه، ومعانيه،والأسلوب ،والصرفة، اشتماله على الأمور الغيبية ، أو الفصاحة،أو اشتماله على الحقائق، أو البلاغة ،أو النظم ، أن وجه إعجازه مجموعها كلها ،وما

(**61**) ينظر نهاية الإيجاز (**33-34**).

(**62**) ينظر البرهان الكاشف لإعجاز القرآن (**54**).

تضمنه من المزايا الظاهرة ، والبدائع الرائقة ثم اختار أن وجه إعجازه هو الفصاحة في ألفاظه، والبلاغة في معانيه ، وجودة النظم وحسن السياق(63) .

وبين ابن تيمية (ت728) في كتابه النبوات أن المعجزة هي البينة حيث بوب بقوله: فصل في معجزات الأنبياء التي هي آياتهم وبراهينهم كما سماها الله آيات وبراهين (64). ثم قال :"فالأنبياء إذا أخبروا عنه بكلامه عرف بذلك شهادته وآياته القولية و لابد أن يعرف صدق الأنبياء فيما أخبروا عنه و ذلك قد عرفه بآياته التى أيد بها الأنبياء ودل بها على صدقهم فإنه لم يبعث نبيا إلا بآية تبين صدقه إذ تصديقه بما لا يدل على صدقه غير جائز كما قال (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) أي بالآيات البينات(65).

وأبان عن موقفه من أوجه الإعجاز التي ذكرها السابقون فقال :" وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة على إعجازه ، ولاتناقض في ذلك ، بل كل قوم نبهوا لما تنبهوا له "(66).

وعقد ابن جزي (ت741هـ)باباً في الإعجاز في مقدمة تفسيره حيث قال :"الباب الحادي عشر: في إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله عز وجل ويدل على ذلك عشرة أوجه الأول: فصاحته التي امتاز بها عن كلام المخلوقين.

الثاني: نظمه العجيب وأسلوبه الغريب من قواطع آياته وفواصل كلماته.

الثالث: عجز المخلوقين في زمان نزوله وبعد ذلك إلى الآن عن الإتيان بمثله.

الرابع: ما أخبر فيه من أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم تعلم ذلك ولا قرأه في كتاب.

الخامس: ما أخبر فيه من الغيوب المستقبلة فوقعت على حسب ما قال.

السادس: ما فيه من التعريف بالباري جل جلاله وذكر صفاته وأسمائه .

---

(63) كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (3/367-405) بتصرف واختصار.

(64) ينظر النبوات ج1/ص3

(65) ينظر كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسيرج14/ص188.

(66) ينظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج5/ص429.

السابع: ما شرع فيه من الأحكام وبيـــّن من الحلال والحرام وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة وأرشد إليه من مكارم الأخلاق وذلك غاية الحكمة وثمرة العلوم.

الثامن: كونه محفوظا عن الزيادة والنقصان محروساً عن التغيير والتبديل على طول الزمان بخلاف سائر الكتب.

التاسع: تيسيره للحفظ وذلك معلوم بالمعاينة.

العاشر: كونه لا يمله قارئه ولا سامعه على كثرة الترديد بخلاف سائر الكلام(67).

أما الحافظ ابن كثير المفسر (ت774هـــ) فيقول:" ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنوناً ظاهرة وخفية من حيث اللفظ ومن جهة المعنى قال الله تعالى(الر* كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)(68) فأحكمت ألفاظه، وفصلت معانيه والقرآن جميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلاً وإجمالاً ممن فهم كلام العرب وتصاريف التعبير، فإنه إن تأملت أخباره وجدها في غاية الحلاوة سواء كانت مبسوطة أو وجيزة وسواء تكررت أم لا وكلما تكرر حلا وعلا لا يخلق عن كثرة الرد ولا يمل منه العلماء وان أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصم الراسيات فما ظنك بالقلوب الفاهمات وإن وعد أتى بما يفتح القلوب والآذان ويشوق إلى دار السلام ومجاورة عرش الرحمن(69) .

الزركشي وإعجاز القرآن :

وضح الزركشي (ت794هـــ) في كتابه "البرهان في علوم القرآن " علم إعجاز القرآن بقوله : هو علم جليل عظيم القدر لأن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزتها الباقية القرآن وهو يوجب الاهتمام بمعرفة الإعجاز (70)وإعجاز القرآن ذكر من وجهين أحدهما: إعجاز متعلق بنفسه .

والثاني: بصرف الناس عن معارضته(71)ولا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله معجز .

---

(67) ينظر التسهيل لعلوم التنزيل ج1/ص14.

(68) سورة هود: 1.

(69) ينظر تفسير ابن كثير ج1/ص61..

(70) ينظر البرهان في علوم القرآن ج2/ص90.

(71) ينظر البرهان في علوم القرآن ج2/ص92.

فنقول الإعجاز في القرآن العظيم إما أن يعني بالنسبة إلى ذاته أو إلى عوارضه من الحركات والتأليف أو إلى مدلوله أو إلى المجموع أو إلى أمر خارج عن ذلك.......فيتعين أن يكون الإعجاز لأمر خارج غير ذلك .

ثم قال :بيان الأقوال المختلفة في وجوه الإعجاز وقد اختلف فيه على أقوال :أحدهما:وهو قول النظام : إن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدورا لهم لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات وهو قول فاسد.

الثاني :أن وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف .

الثالث: ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلة .

الرابع: ما تضمن من إخباره عن قصص الأولين وسائر المتقدمين .

الخامس: إخباره عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل كقوله (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) وكإخباره عن اليهود أنهم لا يتمنون الموت أبدا .

السادس: وصححه ابن عطية وقال: إنه الذي عليه الجمهور والحذاق وهو الصحيح في نفسه وأن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه.

وقيل: وجه إعجازه أن الله أحاط بكل شيء علماً.

السابع: أن وجه الإعجاز الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب .

الثامن : ما فيه من النظم والتأليف والترصيف وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ومباين لأساليب خطاباتهم واختاره القاضي أبو بكر قال ولهذا لم يمكنهم معارضته.

التاسع :أنه شيء لا يمكن التعبير عنه وهو اختيار السكاكي حيث قال :"واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة.

العاشر:وهو قول حازم بن محمد القرطاجني (ت 684هـ) في منهاج البلاغة :"إن الإعجاز فيه من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمرارا لا توجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر وكلام العرب.

الحادي عشر :قول الخطابي الذي تقدم ذكره(72) .

الثاني عشر: وهو قول أهل التحقيق إن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد عن انفراده فإنه جمع كله فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع.

---

(72) ينظر البرهان في علوم القرآن(ج2/ص92- ج2/ص 10).

ثم أضاف إليه أوجهاً أخرى منها:1/ الروعة التى له فى قلوب السامعين وأسماعهم سواء المقرين والجاحدين . 2/ ومنها أنه لم يزل ولا يزال ولا يزال غضاً طرياً فى أسماع السامعين وعلى ألسنة القارئين . 3/ومنها جعله آخر الكتب غنياً عن غيره وجعل غيره من الكتب المتقدمة قد يحتاج إلى بيان يرجع فيه إليه(73).

إعجاز القرآن في القرن العاشر :

يعد السيوطي(ت911هـ) أشهر من تناول قضية الإعجاز بالعناية والبيان في القرن العاشر الهجري حيث ضمنه كتبه في علوم القرآن وخصه بكتاب سماه معترك الأقران في إعجاز القرآن.

بدأ السيوطي بتعريف المعجزة فقال "اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة وهي إما حسية وإما عقلية .... ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا(74) "

ويقول السيوطي : لما ثبت كون القرآن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وجب الاهتمام بمعرفة وجه الإعجاز، وقد خاض الناس في ذلك كثيرا فبين محسن ومسيء فزعم قوم أن التحدي وقع بالكلام القديم الذي صفة الذات، وأن العرب كلفت في ذلك ما لا يطاق وبه وقع عجزها وهو مردود لأن ما لا يمكن الوقوف عليه لا يتصور التحدي به والصواب ما قاله الجمهور أنه وقع بالدال على القديم وهو الألفاظ. (75)

وقال قوم: وجه إعجازه ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلة .

وقال آخرون: ما تضمنه من الإخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها .

وقال آخرون: ما تضمنه من الإخبار عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم .

وقال القاضي أبو بكر: وجه إعجازه ما فيه من النظم والتأليف والترصيف وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ومباين لأساليب خطاباتهم(76).

ثم حكى قول فخر الدين الرازي، والزملكاني، وابن عطية

وقال المراكشي: في شرح المصباح الجهة المعجزة في القرآن تعرف بالتفكر في علم البيان وهو كما اختاره جماعة في تعريفه ما يحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى وعن تعقيده وتعرف به وجوه

---

(73) ينظر البرهان في علوم القرآن(ج 2/106-١٠٧)

(74) ينظر الإتقان في علوم القرآن ج2/ص311.

(75) ينظر المصدر نفسه ج2/ص313.

(76) ينظر المصدر نفسه ج2/ص315.

تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه لمقتضى الحال لأن جهة إعجازه ليست مفردات ألفاظه وإلا لكانت قبل نزوله معجزة(77).

ونقل السيوطي عن ابن سراقة قوله : اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن فذكروا في ذلك وجوها كثيرة كلها حكمة وصواب وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءا واحدا من عشر معشاره فقال قوم هو الإيجاز مع البلاغة

وقال آخرون: هو البيان والفصاحة

وقال آخرون: هو الرصف والنظم

وقال آخرون: هو كونه خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر مع كون حروفه في كلامهم ومعانيه في خطابهم وألفاظه من جنس كلماتهم وهو بذاته قبيل غير قبيل كلامهم وجنس آخر متميز عن أجناس خطابهم حتى إن من اقتصر على معانيه وغير حروفه أذهب رونقه ومن اقتصر على حروفه وغير معانيه أبطل فائدته فكان في ذلك أبلغ دلالة على إعجازه .

وقال آخرون : هو كون قارئه لا يكل وسامعه لا يمل وإن تكررت عليه تلاوته

وقال آخرون: هو ما فيه من الإخبار عن الأمور الماضية .

وقال آخرون: هو ما فيه من علم الغيب والحكم على الأمور بالقطع(78).

وقال آخرون هو كونه جامعا لعلوم يطول شرحها ويشق حصرها

وقال الزركشي في البرهان: أجمع أهل التحقيق على أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد على إنفراده فإنه جمع ذلك كله فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك مما لم يسبق فمنها الروعة التي له في قلوب السامعين وأسماعهم سواء المقر والجاحد.

ومنها أنه لم يزل ولا يزال غضا طريا في أسماع السامعين وعلى ألسنة القارئين

ومنها جمعه بين صفتي الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادين لا يجتمعان غالبا في كلام البشر ومنها جعله آخر الكتب غنيا عن غيره وجعل غيره من الكتب المتقدمة قد يحتاج إلى بيان يرجع فيه إليه كما قال تعالى:(إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون)(79).

---

(77) ينظر الإتقان في علوم القرآن ج2/ص316.

(78) ينظر الإتقان في علوم القرآن ج2/ص322.

(79) ينظر الإتقان في علوم القرآن ج2/ص322.

تناول محمد الشربيني الخطيب (ت977هـ) الإعجاز في كتابه في التفسير فقال :إن القرآن كلام معجز في رقائق منظومة ودقائق مفهومه وأنه لا نهاية لأسرار علومه فجمع بذلك بين وجوه الإعجاز بالنظم (أي البلاغة) والمعاني الدقيقة وبأسرار علومه التي لا تنتهي ففي كل زمن يكتشف منها جديد لم يعرفه السابقون(80).

وحكى الشوكاني (ت1250هـ) أنه وقد وقع الخلاف بين أهل العلم هل وجه الإعجاز في القرآن هو كونه في الرتبة العلية من البلاغة الخارجة عن طوق البشر أو كان العجز عن المعارضة للصرفة من الله سبحانه لهم عن ان يعارضوه والحق الأول والكلام في هذا مبسوط في مواطنه وقد أخرج أحمد والبخاري ومسلم والنسائي والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) (81).

وقال الألوسي (ت1270هـ): في بيان وجه إعجاز القرآن أعلم أن إعجاز القرآن مما لا مرية فيه، ولا شبهة تعتريه، وأرى الاستدلال هنا عليه مما لا يحتاج إليه، والشبه صرير باب أو طنين ذباب والأهم بالنسبة إلينا بيان وجه الإعجاز، والكلام فيه على سبيل الإيجاز (82).

ثم قال :" قد اختلف الناس في ذلك على أقوال :

1/ أن وجه إعجازه اشتماله على النظم الغريب والوزن العجيب والأسلوب المخالف لما أستنبطه البلغاء من العرب في مطالعه وفواصله 2/ أن القرآن غير خارج عن كلام العرب.

3/الإخبار بالمغيبات .4/ وجه الإعجاز مجموع ما تقدم

ثم قال :"فهذه الأوجه الأربعة هي الظاهرة في إعجاز القرآن والمشهور عند الجمهور الاقتصار على بلاغته وفصاحته حيث بلغت الرتبة العليا والغاية القصوى التي لم تكد تخفى على أهل هذا الشأن(83).

الإعجاز في العصر الحديث :

---

(80) مقدمة السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ص2).

(81) ينظر فتح القدير للشوكاني (ج1ص53).

(82) ينظر روح المعاني ج1/ص27.

(83) ينظر روح المعاني ج1/(ص27-32)

لقي إعجاز القرآن الكريم في العصر الحديث الكثير من الاهتمام والرعاية ضمن تفاسير القرآن والمؤلفات في علوم القرآن و إعجازه ، فاعتنى به في الهند عبدالحميد الفراهي، واهتم به من علماء تركيا سعيد النورسي في عدد من رسائله، واعتنى به المفسرون فلا يكاد تفسير من تفاسير العصر الحديث يخلو من بيان لإعجاز القرآن، ومهد ذلك لظهور مصطلح الإعجاز العلمي وهو : ما تضمنه القرآن الكريم أو السنة النبوية من حقائق أثبتها العلم التجريبي وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول مما يظهر صدقه فيما أخبر به صلى الله عليه وسلم عن ربه سبحانه وتعالى، وتعدد الباحثون في هذا النوع ، ثم أنشئت بحمد الله عدد من الهيئات المعنية بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة وأولها الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ومن أولوياتها:

1. التنسيق مع الهيئات والشخصيات المهتمة بقضايا الإعجاز العلمي .
2. عقد المؤتمرات والندوات والمشاركة فيها .
3. تطوير أبحاث الإعجاز العلمي .
4. تمحيص وتقويم ما يكتب في هذا المجال .
5. نشر الصالح من هذه البحوث .
6. وضع الضوابط للكتابة في قضايا الإعجاز.

وظهرت تقسيمات وتفريعات للإعجاز منها ما يلي :

الإعجاز العلمي ، الإعجاز الطبي، الإعجاز البياني ، الإعجاز التشريعي ، الإعجاز العددي ، الإعجاز الاقتصادي وأسهم الباحثون في كل نوع من أنواع هذا العلم الذي تنوعت ميادينه وتعدد الباحثون فيه وتلك إحدى عجائب القرآن التي لا تنقضي لأن في العناية به ومعرفة أوجه إعجازه استجابة لأمر الله بتدبره وتجلية لمحاسنه وإظهاراً لإعجازه ودفعاً لما يثار حوله من شبه .

ومن أشهر من أهتم به من مفسري العصر الحديث:

الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار، والشيخ المراغي في تفسيره ومحمد الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير، ولكل منهم أقوال دقيقة وأراء صائبة، واهتم بالتطبيقات الواسعة وبرع فيها كل من المراغي وسيد قطب وسعيد حوى.

وتعددت الدراسات القرآنية في العصر الحاضر في إعجاز القرآن و بلاغته وبيانه وتناسبه كما في كتابات الرافعي، ومحمد الخضر حسين، وعبد العزيز جاويش، والخولي، وعبدالله بن محمد الصديق الغماري، وخصه الشيخ د. محمد عبدالله دراز بدراسة نالت القبول عند المعاصرين في كتابه النبأ العظيم .

وممن كتب في الإعجاز البياني د . أحمد محمد القاسم الذي ازدان بجمعة لكثير من آراء الباحثين في هذا العلم . ود . عبد الستار السعيد في الإعجاز التشريعي

وعبدالمتعال الصعيدي في كتاب (النظم الفني في القرآن) ، د. حفني محمد شرف في كتاب الإعجاز البياني بين النظرية والتطبيق . ومحمد نعيم الحمصي ، ودون في جوانب من هذا العلم عدد من الرسائل العلمية وبحثت جوانب من هذا العلم كالفاصلة القرآنية فلكل من الأستاذ محمد الحسناوي والدكتور عبد الفتاح لأشين كتاب بعنوان (الفاصلة في القرآن).

وأشار محمد نعيم الحمصي في كتابه "فكرة إعجاز القرآن" إلى أن ممن اهتم بالترعة العلمية في التفسير كل من عبد الله فكري، ود. محمد توفيق صدقي، وطنطاوي جوهري، وعلي فكري ومحمد أحمد جاد المولى، وعمر المليباري، ومحمود مهدي الأستامبولي، وموريس بوكاي والدكتور محمد رشاد خليفة، ومحمد متولي الشعراوي، وفئة تمثل سائر الاتجاهات في وجوه الإعجاز.

وقد يوجد بين أفرادها من تحدث عن الترعة العلمية ولكنه لم يقصر عليها كل اهتمامه وهم القاسمي والشيخ محمد عبده وعبدالرحمن الكواكي والشيخ محمد رشيد رضا والشيخ عبدالله الدهلوي والرافعي وعبدالعليم الهندي وأمين الخولي وسيد قطب ومحمد عبدالعظيم الزرقاني ود. محمد عبدالله دراز ،وأحمد مصطفي المراغي ود. محمد سعيد رمضان البوطي ود. محمد علي سلطاني (84).

وهذا عرض لنماذج مما كتب في العصر الحديث

كتاب"إعجاز القرآن والبلاغة النبوية " لمصطفى صادق الرافعي (ت1356هـ) استعرض ما سبقه من أوجه الإعجاز ومنها الإعجاز العلمي ثم بيّن مايراه في حقيقة الإعجاز فقال :" فالقرآن معجز في تأريخه دون سائر الكتب، ومعجز في أثره الإنساني، ومعجز كذلك في

---

(84) ينظر فكرة إعجاز القرآن (216- 2٢) .

حقائقه(85). ثم نبه على أسلوب القرآن وأنه مادة الإعجاز العربي في كلام العرب كله(86)،وذكر أن سر الإعجاز في نظم القرآن بجهاته الثلاثة : الحروف ، والكلمات ، والجمل(87).

وتناوله الشيخ السعدي (ت1376هـ) في تفسيره عند قوله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) يخبر تعالى عن عظمته وكمال قيوميته أنه هو الذي تفرد بإنزال هذا الكتاب العظيم الذي لم يوجد ولن يوجد له نظير أو مقارب في هدايته وبلاغته وإعجازه وإصلاحه للخلق وأن هذا الكتاب يحتوي على المحكم الواضح المعاني البين الذي لا يشتبه بغيره.

وأقره الشيخ حافظ الحكمي :"أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم هذا القرآن فهو معجزة خالدة أبد الآبدين ودهر الداهرين لا تفنى عجائبه ولا يدرك غاية إعجازه، ولا يندرس بمرور الأعصار، ولا يمل مع التكرار"(88) .

واعتنى به سيد قطب (ت1387هـ) في ظلال القرآن فقال:" إن إعجاز القرآن أبعد مدى من إعجاز نظمه ومعانيه وعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله هو عجز كذلك عن إبداع منهج كمنهجه يحيط بما يحيط به (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاّ كُفُوراً وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً) (الإسراء:89-90) وهكذا قصر إدراكهم عن التطلع إلى آفاق الإعجاز القرآنية فراحوا يطلبون تلك الخوارق المادية ويتعنتون في اقتراحاتهم الدالة على الطفولة العقلية أو يتبجحون في حق الذات الإلهية بلا أدب ولا تحرج لم ينفعهم تصريف القرآن للأمثال والتنويع فيها لعرض حقائقه في أساليب شتى تناسب شتى العقول والمشاعر وشتى الأجيال والأطوار فأبى أكثر الناس إلا كفورا(89).

واهتم بقضية الإعجاز الطاهر بن عاشور (ت1393هـ) فقال : لم أر غرضا تناضلت له سهام الأفهام، ولا غاية تسابقت إليها جياد الهمم، فرجعت دونها حسرى، واقتنعت بما بلغته من صبابة نزرا، مثل الخوض في وجوه إعجاز القرآن ثم إن العناية بما نحن بصدده من بيان وجوه

---

(85) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (156).

(86) ينظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (ص188).

(87) ينظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (211).

(88) ينظر معارج القبول ج3/ص1121.

(89) ينظر في ظلال القرآن (2250/4).

إعجاز القرآن إنما نبعت من مختزن أصل كبير من أصول الإسلام، وهو كونه المعجزة الكبرى للنبي صلى الله عليه وسلم، وكونه المعجزة الباقية، وهو المعجزة التي تحدى بها الرسول معانديه تحدياً صريحاً. قال تعالى (وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ *أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (90).

ثم قال: وأما النوع الثاني من إعجازه العلمي فهو ينقسم إلى قسمين: قسم يكفي لإدراكه فهمه وسمعه، وقسم يحتاج إدراك وجه إعجازه إلى العلم بقواعد العلوم فينبلج للناس شيئاً فشيئاً انبلاج أضواء الفجر على حسب مبالغ الفهوم وتطورات العلوم، وكلا القسمين دليل على أنه من عند الله لأنه جاء به أمي في موضع لم يعالج أهله دقائق العلوم، والجائي به ثاوٍ بينهم لم يفارقهم. وقد أشار القرآن إلى هذه الجهة من الإعجاز بقوله تعالى في سورة القصص (قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (91)ثم إنه ما كان قصاراه مشاركة أهل العلوم في علومهم الحاضرة، حتى ارتقى إلى ما لم يألفوه وتجاوز ما درسوه وألفوه(92) ونكت الإعجاز لا تتناهى(93).وإعجاز القرآن: منه إعجاز نظمي، ومنه إعجاز علمي(94)، ففي قوله (أولم يكفهم أنآ أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) قال:" فإنكاره جل وعلا عليهم عدم الاكتفاء بهذا الكتاب عن الآيات المقترحة يدل على أنه أعظم وأفخم من كل آية وهو كذلك ألا ترى أنه آية واضحة ومعجزة باهرة أعجزت جميع أهل الأرض وهي باقية تتردد في آذان الخلق غضة طرية حتى يأتي أمر الله بخلاف غيره من معجزات الرسل صلوات الله عليهم وسلامه فإنها كلها مضت وانقضت قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون الآية (95) .

وأقف عند هذا الحد فإن أوجه الإعجاز في العصر الحديث قد اهتم بها المفسرون وخصها الباحثون والدارسون لقضايا الإعجاز البياني، و التشريعي،و العلمي بمؤلفات عديدة متوافرة .

---

(90) ينظر التحرير والتنوير (57) والآية (50-51).

(91) سورة القصص :49.

(92) ينظر التحرير والتنوير (72)

(93) ينظر التحرير والتنوير (ص 167)

(94) ينظر التحرير والتنوير (ص 711)

(95) ينظر الشنقيطي أضواء البيان ج1/ص477.

الخاتمة :

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وله الحمد أن هدانا بالآيات البينات ، والصلاة والسلام على نبينا محمد المؤيد بالمعجزات ، والآيات الباقيات، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وبعد،،

فقد تبيّن مما تقدم أن القرآن الكريم كلام رب العالمين ، واضح البيان ، ساطع البرهان ، محروس من الزيادة والنقصان ، معجز بألفاظه ومعانيه، أدرك ذلك كل من سمع آياته ،وتدبر كلماته وتبيّن من النظر في كلام أهل العلم مايلي :

1) أن دلائل إعجاز القرآن بدأت منذ بدء تنزل القرآن الكريم .
2) أن النظر في إعجاز القرآن داخل في تدبر القرآن المأمور به.
3) ينبغي للباحث في الإعجاز أن يبتعد عن التكلف أو الجزم بأن ما يصل إليه هو مراد الله.
4) أن القول بوجه من وجوه الإعجاز لا يعد من القول على الله بغير علم ، ويمكن قبوله إذا لم يكن ناتجاً عن الرأي والهوى .
5) أن أوجه الإعجاز متعددة ولا يمكن الجزم بوجه ورد ما عداه ، ويمكن القول أنه معجز من أوجه متعددة.
6) تضمن القرآن للإعجاز البياني البلاغي ، والتشريعي،والعلمي ، والتأثيري، والكوني ، والغيبي، والإعجاز في خلق الإنسان والحيوان.
7) صدق قول القائل " إن من إعجاز القرآن ألا يقف إعجازه عند حد " بل كلما جاء علماً أقر بالأوجه التي وقف عليها ، وأضاف إليها.
8) ضرورة استثمار قضا يا الإعجاز في الدعوة إلى الله إذ هي من أقوى وسائله.
9) وأختم بقول الإمام الزركشي في ختم مقدمة البرهان : (وأعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه لا ستفرغ عمره ثم لم يحكم أمره فإن الصناعة طويلة والعمر قصير" (96)أ. هــ .

وأقول ما حصل في هذا البحث من حق وصواب فبتوفيق من الله والحمد لله، وما وقع فيه من خطأ أو زلل فمني، وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يلهمنا السداد والصواب و صلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

---

(96) ينظر البرهان في علوم القرآن للزركشي 35/1..

المصادر والمراجع :

- الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي تقديم وتعليق مصطفى ديب البغا ط ـ 1407هـ دار ابن كثير دمشق ـ بيروت .
- أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي طبعة دار الفكر بيروت .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود محمد بن محمد العماري (ت 951هـ) ط ، دار إحياء التراث العربي بيروت .
- أساس البلاغة لمحمود بن عمر جار الله الزمخشري تحقيق الأستاذ عبدالرحيم محمود طبع دار المعرفة بيروت .
- الأساس في التفسير للشيخ سعيد حوى ط دار السلام القاهرة .
- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز لأبي محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام (ت 660هـ) تصوير دار الحديث القاهرة .
- الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم د. محمد أحمد يوسف القاسم ، ط 1 دار المطبوعات الدولية الأولى 1399هـ .
- الأم تأليف الإمام الشافعي (ت / 204هـ) ط 2 دار الفكر بيروت .
- إمعان النظر في نظام الآي والسور رسالة ماجستير للباحث محمد عناية الله في جامعة الإمام عام 1401هـ .
- البحر المحيط تفسير محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ط3) دار الفكر بيروت 1403هـ .
- البرهان في علوم القرآن للزركشي مصورة عن طبعة أبو الفضل محمد إبراهيم.
- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن تأليف كمال الدين عبدالواحد الزملكاني (ط1) العاني بغداد نشر الأوقاف العراقية 1394هـ.
- بصائر ذوي التمييز في الطائف الكتاب العزيز لمحمد الله بن يعقوب الفيروز آبادي المكتبة العلمية توزيع دار الباز .
- بيان إعجاز القرآن للخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ،ت ، محمد خلف الله ومحمد زغلول .مصر .
- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر (ط2) دار التراث القاهرة .
- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور الدار التونسية للنشر 1984 تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد رضا دار المعرفة بيروت.
- تفسير القرآن العظيم للحفاظ عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي طبع دار إحياء التراث بيروت 1388هـ .
- تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي ط الحلبي .

- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد الأنصاري القرطبي نسخة مصورة ببيروت .
- جواهر القرآن في تناسب سور القرآن لعبدالله محمد الصديق الغماري مطبعة محمد عاطف وسيد طه توزيع مكتبة القاهرة مصر .
- حاشية شهاب الدين الخفاجي على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الراضي)
- دقائق التفسير لإبن تيمية تحقيق محمد السيد الجليند . مؤسسة علوم القرآن دمشق وبيروت (ط2)
- دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني بعناية محمد رشيد رضا ،ط دار المعرفة لبنان 1402هـ .
- دلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي تحقيق د. عبدالمعطي قلعجي (ط1) دار الكتب العلمية ببيروت 1405هـ.
- الرد على الجهمية الزنادقة للإمام أحمد بن حنبل .
- رسائل الجاحظ جمع وعناية عبدالسلام هارون نشر مكتبة الخانجي بمصر 1399هـ .
- روح المعاني لشهاب الدين محمود الألوسي مصورة بدار الفكر بيروت .
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض اليحصبي طبع دار الكتب العلمية بيروت 1399هـ وتوزيع دار الباز بمكة .
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي (ت 756هـ) صورة مخطوطة تحقيق محمد الدغيم ط 1 1407هـ .
- الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي الجرجاني منشورات دار الأفاق بيروت (ط3) 1978م .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ـ 538هـ) ط دار المعرفة بيروت لبنان .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبدالحق ابن عطية الأندلسي (ت – 541) تحقيق مجموعة من العلما مع الشيخ إبراهيم بن عبدالله الأنصاري (ط1) قطر 1410هـ .
- المستدرك على الصحيحين لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري تصوير دار المعرفة بيروت توزيع دار الباز بمكة المكرمة .
- معاني القرآن لأبي زكريا الفراء تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي (ط3) عالم الكتب بيروت 1403ه.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن ضبطه وصححه أحمد شمس الدين (ط1) دار الكتب العلمية 1408ه.

- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للإمام الفخر الرازي الطبعة الثالثة دار إحياء التراث العربي بيروت .
- المفردات في غريب القرآن للحسين بن محمد الراغب الأصفهاني تحقيق محمد سيد كيلاني دار المعرفة بيروت . لبنان .
- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن . د.محمد عبدالله دراز طبع دار القلم الكويت .
- النبوات لإبن تيمية تحقيق ودراسة محمد عبدالرحمن عوض ط دار الكتاب العربي ط1 بيروت 1405هـ .
- النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز للرماني.
- الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية د.رفعت فوزي عبد المطلب ط . دار السلام القاهرة 1406هـ .